

ارتريا أرض البحر
الحلقة الخامسة والاخيرة
"الانطلاقة ألعرجاء"



بقلم: الامين محمد سعيد

(1)

في العام 1964, قرر ادريس شد رحاله الى ارض الأجداد، بعد ان مكث مع اهل كسلا الطيبين سبع سنوات كاملة، ذاق فيها معهم كل انواع واصناف تقلبات الحياة السياسية او المعيشية. وما ان وصل الى قرية أشكرية (1) التي تقع على رأس الحدود الإرترية السودانية، حتى التقى بالصدفة بأحد عابري اصحاب الإبل، وبعد تبادل التحايا والسلام بادر ادريس سائلا:-

- كيف الحال عندكم اخي الكريم؟

كان صاحب الإبل متعجلا في امره، فهو يدرك بأن وقوفه مع ادريس سوف يعرض إبله ونفسه لمراقبة بعض مراكز حراسة الجيش الإثيوبي، التي تراقب اي تحرك والتي لا تبعد عنهما سوى بضع امتار من الحدود المشتركة الإرترية السودانية، وربما يتعرض لإطلاق نار احد جنود اثيوبيا، فنادى صائحا على زملائه كي ينتظروه ليقول:-

(1) تقع قرية أشكرية على الحدود الإرترية السودانية، واهلها وان غلب عليهم طابع العمل الزراعي والتجاري في السودان، فهم يحسون بأنهم جزء من النسيج الإجتماعي الإرتري.

- ياأخى ألا تعرف ماذا حدث ويحدث على الجانب الآخر لهذا المكان الذي نقف فوقه؟

إستغرب ادريس فهو لم يكن يدرك ماذا يعني صاحب الإبل فقال:-

- لقد تحركت من كسلا صباح هذا اليوم وقبل بزوغ الفجر، ونحن الآن في منتصف النهار ولم اصادف احدا بإستثنائك.

رد صاحب الإبل على عجل قائلاً:-

- جنود اثيوبيا منتشرون على بعد ربع ساعة من هذا المكان الذي نقف عليه.

اراد ادريس التأكد مما سمعه، وبينما هو يحس بنوع من الخوف لم يصادف مثله حتى في احلك الأيام قال:-

- انني لا اعرف شيئاً عن ما تتحدث عنه حول وجود او عدم وجود جنود ولم اسمع به وانا في الطريق. انني رجل كان يعمل في السودان، واريد الذهاب الى اهلي، وهذه زوجتي وهؤلاء أبنائي منصور وزينب، واريد ان ترشدني عن افضل السبل لمواصلة طريقي.

ادرك صاحب الإبل بان ادريس لم يفهم مقصده، فقال وهو يلتفت يمناً ويسرى مركزاً نظره على زملاءه:-

- منذ وبعد اندلاع معركة تقوريا ونحن نشاهد وجوداً وظهوراً مكثفاً للجيش الإثيوبي، لم نعهده من قبل في منطقتنا هذه. وإننا نحمد الله بان العدو لم يطأ حتى اللحظة ارض قرينتا، قرية الشكرية التي لا تبعد كثيراً عن الخور ⁽¹⁾ الصغير الذي تراه امامك.

وأضاف وهو لازال في عجلة من امره قائلاً:-

- إنني انصحك بالعودة من حيث اتيت.

زاد استغراب ادريس الذي لاحظته صاحب الإبل فرد قائلاً:-

- إلى اين تريدني ان اعود، فأنا لاجابة لي في العودة؟. وهدفي هو الوصول الى مبتغاي، واعنى بذلك الذهاب الى مسقط رأسي في قرية الشيخ حليب الواقعة في اقليم سمهر، اذا كنت قد سمعت به.

(1) الخور هو مجري مائي صغير تجري فيه مياه سيول الخريف.

لم يكن صاحب الإبل مستقر الذهن فهو كان يشرد بتفكيره ويسرح بخياله وكان كل همه هو التخلص من أسئلة اريس فقال:-

- لاتأخذني ياخي فأنا لا يمكنني مساعدتك. فأنت ترى الوضع الذي انا عليه، فإبلي بدأت تبتعد عني وانا اشاهدها، وزملائي ليسوا بوارد انتظارهم لي، فهم ايضا على عجلة من امرهم، ويخشون بان لا تتعرض لهم احدى الدوريات الاثيوبية التي يمكن ان تتسلل الى الحدود بهدف جمع المعلومات من اي شخص تجده، او بهدف ارتكاب جرائم بحق من يصادفها. واعد مجددا بنصحك بضرورة العودة من حيث أتيت، فهذا اسلم لك ولأسرتك.

ودون سابق إنذار اطلق صاحب الإبل ساقيه للريح بهدف اللحاق بإبله وأقرانه. لم يكن لادريس من مفر سوى الإنصياع الى نصيحة صاحب الإبل، فاتفق مع زوجته السيدة فاطمة الى العودة الى كسلا ريثما تتجلي الأمور.

عاد ادريس مع اسرته الى مدينة كسلا في غروب الشمس، وتوجه الى منزل محجوب الجعلي دون ان يحس بأي حرج، وطرق الباب طرقات عرفها صديقه على الفور، وخلال لحظات التقى الصديقان إلا ان محجوب لم يتوقع مجيئ او عودة ادريس بمثل هذه السرعة، فقال وهو فاغرا فمه من وقع المفاجئة:-

- مرحبا ادريس، ماذا حدث ما الذي جاء بك بهذه السرعة ؟ خير إنشاء الله. فأنا كنت اتوقع ان تكون الآن موجودا في احدى القرى الحدودية الإرترية.

رد ادريس قائلا:-

- حسب ما اقريناه، فقد تحركت ومعى الأسرة كما تعلم دون ان تعترضنا اي عوائق معينة. وعندما شارفنا في الوصول الى التلال الرملية لقرية الشكرية، علمنا من بعض اصحاب الإبل، بان قوات من الجيش الإثيوبي تجوب المنطقة المحاذية لقرينتهم. فنصحنا بعضهم بالعودة الى حيث ما اتينا، ومحاولة عبور الحدود في مناسبة اخرى، ريثما تتجلي الأمور وتنتضح الصورة، ويعود الجيش الإثيوبي من حيث اتى.

واضاف قائلا:-

- وقد كان من الحكمة العودة والبحث عن طريق آخر يوصلنا بالسلام الى ارض الأجداد.

اقتنع محجوب الجعلي بما سمعه، إلا انه اصر ان يقضي ادريس واسرته معه في داره وتحت ضيافته ما تبقى لهم من وقت حتى الرحيل مجددا. وما هي سوى ثواني معدودات حتى توجه الى احد مطاعم المدينة وجلب معه العديد من الصحون المليئة بالفول البلدي وزيت السمسم الأصلي، رشت فوقهما بعضا من شذرات الجبنة البلدية المالحة التي يرتاح اليها معظم اهل السودان، وبعض أقراص الطعمية ذات النكهة والمذاق الكسلاوية، وقطعا من الخبز البلدي الأسمر وقدمهما لضيوفه كطعام للعشاء بوجه بشوش.

تناول الكل طعام العشاء، وقام ادريس ومحجوب الجعلي ومعهما بالطبع منصور، واحد ابنا عمومة محجوب بأداء صلاة العشاء جماعة، وتوجه بعد ذلك كل منهما الى المكان المقرر لنومه.

في الصباح الباكر، ومع آذان الفجر قام ادريس بدخول الحمام وقضى فيه حاجته واغتسل وتوضأ، وعلى الفور توجه الى المسجد المجاور للبيت، لحقه بعد ذلك صديقه محجوب الجعلي وأدوا صلاة الفجر مع جمع من ابنا الحي. وما ان وصلا الصديقان الى المنزل، حتى كانت السيدة فاطمة في إنتظارهما وهي تحمل صينية بها بعض لقيمات الصباح⁽¹⁾ وبعض الأكواب المليئة بشاي الحليب، وبعضا من قطع البسكويت وقدمتهما لهما. في المقهي فاتح ادريس صديقه محجوب قائلا:-

- انني انوى ومعي بالطبع بقية افراد الأسرة التوجه الى مدينة بورت سودان ومنها الى طوكر ومن ثم اعبر منطقة الحدود الارترية السودانية عبر بلدة قرورة السودانية. واعتقد بان هذا افضل السبل، وافضل الطرق الآمنة للتوجه الى قريتنا قرية الشيخ حليب في سمهر.

إلتقت محجوب الجعلي نحو صديقه بصورة تتم عن عدم الرضى لما سمعه، وعلى الرغم من انه لم يستصغ تعجل صديقه في التوجه الى بورت سودان وهو العائد يوم امس من منطقة الشكرية، ولم يأخذ بعد القسط المطلوب للراحة، اسرع فقال:-

(1) لقيمات الصباح هي عبارة عن قطعة عجين مقلية بالزيت تقدم في العديد من مناطق السودان وارتريا ايضا كوجبة صباحية خفيفة الى حين الإفطار

- لماذا العجلة؟ لازل لدينا متسعا من الوقت للذهاب الى حيث تريد.

رد ادريس قائلاً:-

- لا عليك فنحن لم نحس بأي تعب، ولم تكن المسافة التي قطعناها مشيا بالأقدام مرهقة.

تدخل محبوب الجعلي وهو يقول:-

- لماذا العناد والإصرار على تحقيق ما نقوله او تريده دون ان تستمع الى ما اقله.
فأنت لا يمكن ان تتحرك الى بورت سودان او اي بقعة في السودان دون موافقتي
ورضاي.

احس ادريس بتعجله في طلب الأذن للتوجه الى بورت سودان. ولم يكن يدرك حقيقة
المشاعر التي إنتابت صديقه محبوب الجعلي عندما عاد من الحدود بأسرع وقت ودون اي
توقع. فقال وهو يحس بنوع من تأنيب الضمير:-

- لم اقصد ازعاجك، فأنا لست متضايقا من ضيافتك لي ولأسرتي، فانت نعم
الصديق بل نعم الأخ. ومن اجل ذلك فإنني اسحب طلبي فيما يتعلق بالسفر الى
بورت سودان واترك تحديد الوقت المناسب للسفر لك وحدك.

ارتاح محبوب الجعلي لما سمعه، وادرك حقيقة بأن ادريس يكن له كل الإحترام والمحبة
فقال:-

- التقيت يوم امس باحد الأصدقاء وهو السيد عمر عبدالله الذي يعمل مدرسا في
المدرسة الميرغنية الأهلية، وقد سبق وان عرفتك به عندما كنا نبحت مقعدا
للدراسة لابننا منصور، وقد ساعدنا على تحقيق ذلك كثيرا.

واضاف قائلاً:-

- دون ان اطيل عليك فقد التقيت بعمر عبدالله وطلبت منه ان يتوسط لي لدى
بعض اصدقائه من تنظيم حركة تحرير إرتريا ليقوموا بمساعدتك للوصول الى
إرتريا عبر مدينة بورت سودان. وقد وعدني خيرا، مؤكدا لي بانه هو ايضا عضوا
في تنظيم حركة تحرير إرتريا بإعتباره سودانيا من اصل إرتري. وان واجبه يحتم
عليه مد يد العون لأي شخص خاصة اذا كان إرتريا، ومتعاطفا مع قضية شعب
إرتريا وملتزما بها.

إنفجرت اسارير ادريس وطرح السؤال التالي:-

- اين ومتى وكيف يمكن التوجه الى بورت سودان ومن ثم الى إرتريا؟ أشرح لي بإسهاب حتى يطمأن قلبي ويرتاح عقلي.

رد عليه محبوب الجعلي قائلاً:-

- لا عليك سوف يكون لي لقاء آخر مع عمر عبدالله، وسوف يخبرني بالخطة التي سوف يضعها لسفرك إنشاءً الله في القريب العاجل.

بعد ثلاثة ايام فاتح محبوب الجعلي صديقه ادريس بالخطة التي وضعها عمر عبدالله فقال:-

- عليك الإستعداد للرحيل ليوم غد وفي تمام الثامنة صباحا على القطار المتجه الى بورت سودان. وقد كلف عمر عبدالله بعضا من اصدقائه العاملين في قطار سكة حديد السودان كما وعد، وذلك لتقديم كل المساعدة الممكنة لك، وحمایتك من النشالين ولصوص القطارات، وبصفة خاصة رجال المباحث السودانية الذين لايتورعون من انتهاك حقوق المسافرين، خاصة عندما يعلمون بان ضحتهم هو من إرتريا.

ووفقا للخطة توجه ادريس واسرته الصغيرة الى محطة كسلا، وخلال دقائق جلس كل منهما في المقعد المخصص له، ليسافروا سويا بالقطار المتجه الى مدينة بورت سودان، مارا بالعديد من المحطات الهامة مثل، محطات عطبرة، وهيا، وجيبب وغيرهما. وقد كان في وداعهما بالطبع صديقهم محبوب الجعلي.

ما ان وصل القطار محطة بورت سودان بعد سفر مضني إستمر لحوالي ثلاث عشر ساعة، حتى تسلقه احد منتسبي حركة تحرير إرتريا الذي كلف بإستقبال ادريس واسرته، وما ان التقى بهم، وتأكد من اوصافهم التي اعطيت له، وبعد التحايا الحارة، والإستفسار عن الصحة ومشقة السفر، او اذا كانت قد صادفتهم بعض المشاكل. وبعد ان تأكد بان كل شيء مر بسلام بالنسبة لمن استقبلهم، توجه الكل بأحد باصات المدينة العاملة من وإلى محطة القطار الى احد البيوت العائدة لملكية أسرة إرترية في حي ديم سواكن وإستقروا فيه. لم يدم بقاء ادريس طويلا في مدينة بورت سودان مثلما كان متوقعا. ففي خلال فترة زمنية لم تتجاوز الأسبوع قام منتدب حركة تحرير إرتريا بتسفيره واسرته الى مدينة طوكر بأحد

الباصات التي تعود ملكيتها لأحد اصدقائه من ألعرتيقا⁽¹⁾. وما ان وصلوا الى طوكر، قام صاحب الباص بإستضافتهم في بيته ليقضوا فيه بقية ليلتهم. وفي اليوم الثاني، وبعد ان إستأجروا جملين حملوهما ببعض مؤن الطريق، وبقرية او قربتين من الماء الصالح للشرب، توجهوا وهم يدعون الله ان يحفظهم ويبعد عنهم شرور الطريق، الى منطقة مرافيت التي غمرتها مياه السيول القادمة من إرتريا عبر نهر بركة الشهير. وخلال رحلة ليست بالبعيدة إلا انها كانت كافية لإرهاقهم، خاصة وإن السيل لم يكن يرحم ارجلها التعب، قطعوا وادي مرافيت، ليصلوا الى موقف الباصات العاملة في تلك المنطقة، ويدفعوا اجرة تذاكر سفرهم، ليستقلوا بعد ذلك احد الباصات المتجهة الى منطقة قرورة. وخلال أربع او خمس ساعات وصلوا الى بلدة قرورة السودانية المحاذية لقرية قرورة الإرترية، مارين بمنطقة عيترية، ومنها الى قرية عقيق المشهورة التي تطل من على بعد على شاطئ عقيق على البحر الأحمر، وبعض القرى او بلدات تلك المنطقة. وفي بلدة قرورة قضوا عدة أيام تحت ضيافة احد ابناء منطقة نقفة ويدعى جابر باناي وهم في أمن وسلام.

(1) ألعرتيقا هي إحدى القبائل المشهورة التي تسكن على طول امتداد منطقة طوكر ويورت السودان، في شرق السودان

(2)

إزدادت إشكالات ومصاعب وتعقيدات جبهة التحرير الإرترية. وبصرف النظر لحالة الرفض الشعبي الإرتري للوجود الإستعماري الإثيوبي، وتعاطفه مع الثورة الإرترية، وإنتشار المواجهات المسلحة بين الحين والأخرى بين الثورة وقوات الاحتلال الإثيوبية منذ بداية العام 1963م، فإن قيادة جبهة التحرير الإرترية ومنذ تلك الفترة، لم تبذل للأسف الشديد اي جهد يمكن ان يقدر او حتى يذكر على طريق السعي لتطوير القدرات النضالية التي تصب في مصلحة تحقيق الوحدة الوطنية سواء بين الشعب الإرتري، او بين فصائله التي بدأت تتناحر منذ بداية الصراع وتفجره بين حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية. وقد اتسمت وللأسف الشديد ايضا العلاقة بين رفاق السلاح بعدم الوضوح، وإنتفاء المسؤولية، وعدم المحاسبة، والشفافية.

كان محجوب الجعلي الذي تأثر كثيرا بالتطورات السياسية الإرترية متابعاً بل متفهماً، لكل ما يمت بصلة بإرتريا وشعبها. وكان ومنذ البداية، اي منذ ان تفتحت عينه وبصيرته على إرتريا، يحذر في كل المناسبات من الانفلات وعدم مسؤولية قادة جبهة التحرير الإرترية، ويسعى قدر استطاعته لتقويم الإعوجاج الذي بدأ يصاحب واقع الثورة الإرترية بصورة سلبية. وقد كان صريحا وبناءاً في نقده لكافة الممارسات السلبية خاصة، تلك التي تستند على واقع التخلف الإجتماعي وإفرازاته. ففي نقده عندما يتعلق الأمر بالثورة الإرترية، وبصفة خاصة فيما يتعلق بقيادة جبهة التحرير الإرترية فإنه كان يسعى للتذكير قائلاً:-

- منذ البداية، اي منذ بداية مرحلة التأسيس، كانت قيادة جبهة التحرير الإرترية تعاني من حالة الإنقسام والتشردم بين مختلف أطرافها. فقد كان هناك طرف يتمثل في من أتى والتحق بحامد إدريس عواتي، وطرف يتمثل في الجنود الذين خدموا في الجيش السوداني في الأربعة الشرقية والتحقوا بعواتي، وطرف او جناح ثالث يضم خليط ممن كانوا في وحدات البوليس الإرتري، وبعض المواطنين العاديين الذين لم يخدموا لا في الجيش السوداني، ولا في قوات الشرطة الإرترية والتحقوا بعملية الثورة.

ويضيف اثناء مناقشته وتناوله للوضع الإرتري مع اي كان يريد معرفة التطورات بالقول:-
- أسوء شئى يواجه الثورة هو الإنقسام. فالإرتريون حقيقة لم يستفيدوا حسب علمي
من تجربة الانقاسامات السياسية التي طغت عليهم وانتشرت في اوساطهم منذ
الاربعينات. إلا درجة ان الأمور تصل بينهم الى حد التراشق بالعبارات النابية
بحق بعضهما البعض في البداية، لتتطور الى اعتداءات بالأيدي، واللجوء الى
الدسائس والمؤامرات ثانيا. واخشى ما أخشاه حدوث إغتيالات جسدية متبادلة،
وإنفجار الوضع خاصة بين المستجدين والقدامى، وبين ابناء قبائل المنطقة الغربية
بعضهما البعض.

إذا كان هذا، ووفقا لما كان يقوله محبوب الجعلي، هو الواقع الذي سيطر على بدايات
مرحلة تأسيس جبهة التحرير الإرترية فإن نظام الإمبراطور هيلي سيلاسي، وبعضا من
انظمة المنطقة العربية مثل نظام الفريق إبراهيم عبود في السودان، كانوا يحاولون غرس
ثقافة الخلاف بين اطراف وقوى جبهة التحرير الإرترية. ففي السودان الفريق عبود كانت
مراكز قواه تتنافس للتأثير على القيادات الإرترية، فكان الجيش ومعه طبعا الإستخبارات
العسكرية يسعون للتأثير على القيادة الثورية التي كانت قابعة في مدينة كسلا، اما بعض
السياسيين من ذوي الإرتباطات السياسية، المندسين في عباءة نظام الفريق عبود، فهم
وبدورهم كانوا يسعون ايضا للتأثير على قيادة المجلس الأعلى بصورة او اخرى بهدف تحقيق
مكاسب سياسية تدخل في نطاق صراعاتهم ومكائدهم الحزبية، دون اي إعتبار للمصلحة
الوطنية العليا الإرترية.

بالإضافة الى ذلك فقد حاول نظام الامبراطور هيلي سيلاسي ايضا الإستفادة قدر الإمكان
من واقع التجاذب الإرتري - الإرتري بهدف التأثير على مجرى الاحداث في عموم إرتريا.
فهو لم يؤلوا جهدا في بعث رسله ومبعوثيه الذين يعتقد بان لهم تأثير او ثقل قبائلي او
مناطقي الى مختلف القيادات الأرترية سواء المتواجدين منهم في السودان، او أولئك
المتواجدين في المدن العربية مثل القاهرة، وجدة على سبيل المثال. فكان الرسل وبإيعاز منه
يلوحون ويغرون تلك القيادات والتابعين لهم للعمل في مختلف الوظائف الحكومية، وإيجاد
الحلول لإشكالياتهم الإقتصادية التي تواجههم، ويصرون على حثهم لتحقيق اهداف حكومة
"صاحب الجلالة" الإمبراطور هيلي سيلاسي الأول.

لم تختصر عمليات التجاذب ومحاولات التأثير على اطراف قيادات الثورة الإترتية على
سودان الجنرال عبود، او نظام هيلي سيلاسي وحده. فقد كانت هناك ايضا العديد من قوى
المنطقة العربية المتصارعة ولحسابات جيوسياسية خاصة بها، تسعى بدورها للإستفادة من
صراعات اطراف جبهة التحرير الإترتية، والاستفادة القصوى ايضا من المشاحنات الشخصية
والمكايادات السياسية التي كانت تظهر في كثير من الاحيان بين حركة تحرير إرتريا وجبهة
التحرير الإترتية. ولم تكن مصر عبد الناصر وكذلك بعض انظمة الدول العربية مثل نظام
الإمامة في اليمن، والمملكة العربية السعودية، والنظام الملكي السنوسي في ليبيا، وبعض
الأطراف والقوى السياسية العروبية والإسلامية ببعيدة عن مايجري من إستقطاب لفصائل
الثورة الإترتية. ومن هنا، ولأول مرة ومنذ تلك الفترة من تاريخ بداية مسيرة حركة الثورة
الإترتية، لم تتورع العديد من تلك القوى والأنظمة الخارجية على تصنيف جناحي الثورة
الإترتية دون وجه حق بالتنظيم اليساري الشيوعي ويقصدون به فصيل حركة تحرير إرتريا،
وآخر بالتنظيم الإسلامي والعروبي لجبهة التحرير الإترتية. وهذا ماكان يؤلم حقيقة كل
المتعاطفين مع الثورة الإترتية، والمؤملين على تطورها وازدهارها.

كان محجوب الجعلي ومنذ ان سافر صديقه ادريس لا يجلس إلا في ركن المقهى الذي كان
مفضلا له ولصديقه. وذات مساء احد ايام الجمع وفي الفترة الذي كان فيه المقهى مزدحما
بالعديد من الزبائن، اتى اليه شخص لم يصادفه قبل الآن، وعرفه بانه يدعى حافظ بادمي،
وبعد ان رحب به وتبادل معه السلام التقليدية طرح عليه سؤالا يفيد:-

- لقد سمعت للتو من احد الاصدقاء بسفر ادريس، فمتى سافر؟

تدخل محجوب الجعلي سائلا هو الآخر؟

- اين تعيش او تسكن؟ فأنا لم يحصل لي شرف التعرف بك قبل الآن، وماذا تعمل؟

تأكد حافظ بادمي بان محجوب الجعلي يشك فيه، ولتبيد ذلك قال:-

- انا شخصا من إرتريا، ولا اخفي عليك فأنا احد الملتزمين في جبهة التحرير

الإترتية، واحد مقاتليها العاملين في منطقة بركة.

واضاف قائلا بثقة تامة:-

- كلفت من قائد مجموعتي المرابطة على الحدود ان اتوجه الى سوق كسلاء لشراء بعض حاجيات المجموعة من السكر، والبن والصاعوط⁽¹⁾.

بدت إمارات الإرتياح باينة في وجه محجوب، وادرك بان توهمه بخصوص حافظ لم يكن في مكانه فأسرع قائلاً:-

- لقد أسأت الظن بك، فأرجوا صادقاً السماح وعدم المؤاخذه. فأنا ربما كما تعلم، التقى يومياً بالعديد من الأشخاص الطيبين والودودين، كما اصادف وان التقى بعض من الخبثاء بل المخبرين السريين الذين يصعب على المرء التعرف عليهم في الحال، فأضطر للشك بأي قادم لا اعرفه، وهذا بطبيعة الحال يعرضني لبعض الإحراجات. كما اكون في كثير من الاحيان غير موفق في تصنيف الصالح من الطالح.

وما ان احس محجوب الجعلي بوقع ما قاله على حافظ الذي كان يهز رأسه علامة على الموافقة واطمئنانه اليه سأل قائلاً:-

- وهل تمكنت من شراء ماجئت من اجله، وبماذا تريدني ان اساعد؟
رد حافظ قائلاً:-

- نعم لقد تمكنت من شراء ما كنا في أمس الحاجة إليه، اما بالنسبة للمساعدة فإنني لا احتاج الى شئ معين، فأنا سوف اتوجه بعد توديعك وفورا الى من حيث أتيت. وقد كان كل همي هو معرفة اي خبر عن ادريس والذي هو رفيق صباي، وها أنا الآن أطمئنت عليه.

رد محجوب الجعلي قائلاً:-

- اطمئن فإدريس بخير، وقد قمنا بترتيب اللازم لتسفيره الى مدينة بورت سودان. وهو الآن حسب تقديري قد دخل بلاده عن طريق الساحل، واتمنى له ولأسرته السلامة والأمان.

تدخل حافظ بادمي ليقول:-

(1) الصاعوط ويعنى التمباك او السفة ، وهو شائع الاستخدام في العديد من مناطق ارتريا والسودان

- اشكرك على الخبر السار الذي سمعته منك. فأدريس رجل وطني مصابر لا يتحمل ان يكون عالة على اي كان، ويفضل ان يعتمد على نفسه في كل الأحوال والأوقات فأنا اعرفه حق المعرفة، فكما قلت لك فإنه رفيق صباي ... لم يترك محبوب الجعلي الفرصة لحافظ ليكمل مابدأه من كلام فقال متسرعا:-
- لقد أخبرتك فيما يتعلق بإدريس، وعليك اخباري بما لديك بخصوص الوضع القائم عندكم في بركة.

التقت محفوظ بادمي يمينة ويسرى، الا ان محبوب تدخل مجددا ليقول:-
- لاعليك يمكنك التحدث دون خشية، فأنا لم الاحظ منذ الصباح وحتى الآن قدم اي شخص مشبوه يمكن الخشية منه. وعليك البدء فأنا على احر من الجمر لسماعك.

زالت الخشية من حافظ بادمي، فقال على الفور:-

- يقوم بعض العملاء المرتبطين بالمستعمر الإثيوبي للتأثير علينا عبر نشر الإشاعات المغرضة. فنحن نعرف تماما ونسمع ايضا بان هناك بعض المتاجرين الذين يريدون بيعنا بأبخث الاثمان. فهم يدعون ليل نهار، بان إمبراطور إثيوبيا يريد إعادة حقنا الذي سلبه، وانه على استعداد لإعطاء كل منا خاصة نحن حملة السلاح مانريده، سواء اردنا المال، او الجاه، او ممارسة اي نوع من انواع التجارة، إلا ان كل ما يقال لا يمت بصلة للحقيقة التي يعرفها حتى اطفالنا.

واضاف قائلاً:-

- لقد باءت كافة محاولات الامبراطور هيلي سيلاسي للتأثير علينا بالفشل التام. والدليل على ذلك فانه يقوم في الوقت الراهن، ووفقا للمعلومات التي تصلنا من مصادر موثوقة، بالإستعداد لخوض مواجهة شاملة ضدنا وضد شعبنا، مواجهة تشمل كل المجالات السياسية، والإقتصادية، والعسكرية والثقافية. وفي تقديرنا فإن المواجهة سوف تكون حاسمة لصالحنا، طال الأمر ام قصر، عبر إستخدام العنف الحقيقي، الذي لم يدركه حتى الآن نظام الإمبراطور. كما اننا ندرك بان الإمبراطور لا يهمله الشعب الإرتري بقدر ما يهمله ان تسيطر إمبراطوريته على بحر وأرض وخيرات إرتريا.

إستغرب محجوب الجعلي، فهو لم يتوقع ان يكون محدثه مدركا ومطلعا بصورة كاملة على حقيقة ما يجري ويتم الآن في إرتريا، فقال:-

- اعتقد بأنك ملم بالأوضاع اكثر مما انا ملما بها، وأهنتك على هذا. فأنا مسرور الى ابعد السرور اذ انني لم اصادف حتى الآن شخص مطلع ومثقف اكثر منك. كان حافظ بادمي صادقا فيما كان يقوله. فهو ليس بذلك الأمي الذي لا يدرك او يفهم ويتفهم الأمور السياسية وتطوراتها. فهو وقبل ان يلتحق بالثورة في نهاية العام 1963م كان طالبا يتلقى التعليم في احدى المدارس الإعدادية في مدينة أغوردات. كما عمل في العديد من المناشط التجارية مع والده في بيع وشراء الحبوب الغذائية، وتاجر بالبهايم، وكل ذلك مكنه دون شك للقاء بمختلف الاشخاص والتعرف بهم، بالاضافة الى خوض المناقشات السياسية معهم وتبادل المعلومات في كل ما يتعلق بالاوضاع والتطورات في إرتريا. لاحظ حافظ بادمي بان الوقت يمضى فأراد إستغلال بداية حلول الظلام، وقرر توديع محجوب الجعلي ولسان حاله يقول:-

- كان بودي قضاء الليل كله معك لكن وكما اخبرتك فإنني ومع حلول الظلام سوف اضطر لتركك، وها هو قد حل الظلام ونحن لم نبارح مكاننا. فأنا على عجلة من أمري ورفاقي في انتظاري على رأس الحدود الإرترية السودانية في منطقة محاذية لقرية عواض السودانية.

وأضاف قائلاً:-

- أوضاعنا لا بأس بها، إلا ان هناك تحركات مشبوهة بدأ يقوم بها الجيش الاثيوبي على طول منطقة الحدود الإرترية - السودانية المحاذية لمنطقة ثلاثة عشر والقرى المجاورة لها. ومن هنا فإنني لا استبعد ان تقوم القوات الإثيوبية، وبدعم من بعض المرتزقة الجواسيس من ابناء إرتريا، بمهاجمة بعض قرى منطقتنا المحاذية للسودان. وقد بدأت تلك القوات ومنذ فترة ليست بالبعيدة بالادعاء والقول بان السكان المحليين يأوون ما يعتبرونهم قطاع الطرق او عصابات الشفتا، حتى يتمكنوا من احراج السودان، والتضييق عليه في مرحلة لاحقة. انني ووفقا لمعرفتي بتطورات الأوضاع وطبيعتها، وما نقوم به من إستعدادات واحتراس فائق، وقدرة على الصمود والتصدي، وأكد لك باننا على اتم

الإستعداد للمواجهة التي ننتظرها منذ وقت طويل، وبالتأكيد سوف ننزل الهزيمة الماحقة بالمعتدين الإثيوبيين، لأننا اصحاب قضية، وقضية عادلة. وهذا ما أرجوا تبليغه بدورك لكل المهتمين بالشأن الإرتري وتطوراته، أكانوا من أبناء السودان او إرتريا.

ارتاح محجوب الجعلي للقاء بحافظ بادمي، وكان مسرورا لذلك. وعلى الفور قام بإحتضانه، راجيا منه الإتصال به كلما سنحت له الظروف. وبدوره سوف يقوم او يحاول ان يرسل له كمية من تمباك الصاعوط او السجائر، وحتى اذا كانت هناك مواد اخرى هم في حوجة اليها فهو على اتم استعداد لتلبيتها لهم.

ضحك كلاهما وقام كل منهم بتوديع الآخر، لينطلق حافظ بادمي الى منطقة الحدود ليلحق برفاقه، ويعود محجوب الجعلي الى بيته، عله يأخذ دشا باردا يروي به جسمه المبتل بفعل رطوبة مساء مدينة كسلا، ويتناول طعام عشائه ويرتمي على فراشه حتى الصباح الباكر.

في 21 أكتوبر من عام 1964م إندلعت في العديد من مناطق السودان، مظاهرات صاخبة وعارمة في نفس الوقت. وكان الهدف من تلك المظاهرات التي قامت بها جماهير غفيرة من الطلبة، والعمال، وصغار التجار، هو المطالبة بإنهاء نظام الجنرال إبراهيم عبود الذي كبس على أنفاس السودانيين منذ العام 1958م وهو العام الذي استولى فيه الجيش على السلطة السياسية في عموم السودان.

بالإضافة الى ذلك فقد انتشرت أيضا الاخبار والإشاعات عن قيام ما عرف في حينه "بقوى التغيير" وبشكل خاص إتحاد طلاب جامعة الخرطوم بالإضراب السياسي العام والعصيان المدني. وجريا مع تطور الوضع، قامت العديد من الاحزاب التي حذر نشاطها السياسي منذ انقلاب الفريق ابراهيم عبود، والعديد من كليات جامعة الخرطوم، ومرافق التعليم الأساسية والمعاهد المهنية، بتأييد ومباركة ذلك الإضراب وما إشتق منه من عصيان. ليولد هذا ويفجر غضبا جماهيريا عارما ضد السلطة العسكرية الحاكمة ولم يعد الناس يخشون من تحرشاتها وقلة أدبها. وتسارعت الاحداث ليقوم الجيش في الإنتشار في الشوارع الأساسية ويقفل كل مرافق الخدمات، والمراكز الحكومة ومرافقها الإقتصادية، ويعلن بالنتيجة حالة الطوارئ في معظم مدن السودان.

لم يكن إنتشار الجيش في الشوارع والطرق شيئا مألوفا لدى العديد من مواطني السودان، ومع ذلك فهم لم يزعجوا من وقع ومعنى انتشار الجيش، خاصة الذين عاصروا احداث إنقلاب الفريق عبود في العام 1958م. بل كان الشيء الغير مألوف لديهم هو كيف يمكن لمجموعة من الطلبة ومناصريهم النزول في الشوارع خاصة شوارع المدن الاساسية في السودان وعلى رأسها العاصمة الخرطوم، وهم في حالة تحدى للجيش وذلك برفع صوتهم الذي ينادي عاليا بعودة الجيش الى ثكناته، وتشكيل حكومة ديمقراطية مدنية تمثل الشعب السوداني.

وبينما كان الكل في انتظار وترقب لإنجلاء وتبين الحقيقة عبر وسائل الإعلام خاصة عبر راديو أم درمان، طرق احد جيران محجوب الجعلي ويدعى الصادق عبد الماجد الباب بصورة

عنيفة غير عادية، وما ان فتح على مصراعيه حتى تبين لمحجوب بان الطارق هو الصادق فقال، وهو في نرفزة واضحة:-

- خير ياصادق ماذا بك؟ ولماذا الطرق بهذه الصورة؟

رد الصادق بأدب ملحوظ:-

- أرجوا المعذرة، فأنا لم اكن اقصد من الطرق ازعاجكم. والحقيقة هو انني عندما شاهدت رتلا من الجنود وهم يصوبون نظراتهم الحادة إلي وكأنهم يريدون التعرف بالتفصيل على كل قطعة من جسدي، فخمنت بانهم يتقصدونني، وخشيت ان لا يدخلوا منزلنا، ويزعجوا الحاجة أم شفيع المتوعكة، فقررت طرق باب منزلكم علني اجد من يسعفي.

التفت محجوب الجعلي يمنا ويسرى للتأكد من صحة وجود الجنود ام عدم وجودهم، وعندما تأكد بأنهم توجهوا للناصية الأخرى من الشارع المقابل لهم، تنفس الصعداء وقال:-

- ياصادق ياإبني لم يكن من المفترض ان تتحرك في الشارع حتى وان كان شارع بيتكم. الم تعلم بان المظاهرات والاضرابات تعم مدينتنا كسلا وكل مدن السودان تقريبا. وان الجيش ومن اجل إعادة السيطرة على زمام الأمور اعلن اليوم حالة الطوارئ.

لم يكن الصادق قد سمع قبل الآن عن حالة الطوارئ فقال بصورة ارتجالية تخمينية:-

- ماذا تعنى مسألة حالة الطوارئ، اهي تعنى عدم الخروج من البيت والإتكفاء فيه؟ وكيف اذا كان هذا هو الحال، الذهاب الى السوق لشراء ملتزماتنا اليومية من الخضر وغيره.

حاول محجوب الجعلي طمأنت الصادق، وبعد ان حثه لشرب ما قدم له من ماء بارد قال:-

- حالة الطوارئ تعنى فيما تعنيه منع الناس من الخروج للشوارع، ومنع كافة انواع التظاهر والإحتجاجات سلمية كانت ام ذات طابع عنيف، وعدم السماح بأي صورة من الصور تعريض الممتلكات العامة والخاصة للتخريب وإشعال النار فيها...

ازداد تعجب الصادق مما سمعه، فهو لم يشاهد ولم يسمع قبل الآن بما قيل له للتو. ولم يصادف وان إنخلع قلبه من جراء مشاهدة رجال الجيش وهم يحملون الهراوة وبعضهم

البنادق السريعة الطلقات والخرابيج. وتذكر على الفور بان احد اصدقاء ابيه كان يتحدث في مناسبة قديمة وفي احدى جلسات السممر الكسلاوية، عن خروج الجيش من تكناته في العام 1958م، وسيطرته على المرافق العامة، ومنع الناس من التجمهر او حتى التجمع لما لا يزيد عن ثلاثة او اربعة أشخاص، وحاول تشبيه ما يراه الآن مع ما قيل له في جلسة السممر تلك.

ما ان انهى محبوب الجعلي حديثه حتى سمع وقع طرقات على باب منزله مجددا، فأسرع لتبيان الأمر، وهو يتعوذ من الشيطان الرجيم ويمني نفسه ان يمر عليه هذا اليوم بأمن وسلام. وما ان فتح الباب حتى شاهد احد معارفه ومعارف صديقه ادريس القدامى وهو عمر يماني. وعلى الفور رحب به وطلب منه الدخول الى البيت. واحضر على الفور إبريقا من الماء البارد وقال:-

- مرحبا عمر إنني سعيد برؤيتك، فأين كنت طول تلك المدة، ومن اين أتيت؟

رد عمر يماني قائلا:-

- كنت في القضارف وانني آتيا منها الآن، وفي طريقي الى بورت سودان للإطمئنان على احدى عماتي، فأضطرت ان اعرج عليك لأنني سوف لن استطيع مواصلة السفر، اذ ان كل الطرقات وجميع الأسواق في عموم المنطقة التي مررنا بها من القضارف حتى وصولنا هنا مقفلة بل مقرفة، وكأن الطير الأزرق يحوم حولها لإفتراس ما يصادفه من أنس او حيوان.

تناول محبوب الجعلي الموضوع فقال:-

- نعم الأسواق وحتى الطرقات مقفلة في هذه المدينة واخشى ان لا تقفل منازلنا ايضا.

واضاف وهو يبتسم قائلا:-

- ربما لاحظت الحالة العامة التي نعيشها ولو بصورة موجزة. إلا انني لا اعرف

الوضع عندكم في القضارف، فهل الإضراب شل الحياة عندكم كما نسمع؟

رد عمر يماني قائلا:-

- نعم الحياة في القضايف لا تختلف في تقديرى عن الحياة هنا عندكم، ان لم تكن ألعن وأسوء. فأنت تعلم بان كل السودان وخاصة العاصمة التي تعتبر عصب الحياة لكافة اقاليم السودان تعيش ازمة حادة أسأل الله ان يزيلها عنا جميعا.

واضاف قائلاً:-

- قبل ان اتحرك اليكم مر بي احد اصدقائي وهو قادما من الخرطوم وابلغني، بان الخرطوم تعيش وكأنها في حالة حرب. فالناس ضاقت ذرعا بما حدث، ويقوم العديد منهم بالزحف على المراكز الحكومية والدوائر التجارية، واخشى واتوقع إستيلائهم على القصر الجمهوري، والقيادة العامة للجيش وهذا ليس بالمستغرب. فالخرطوم كما علمت تعيش احلك ايام الإضطراب، وما عاد الجيش يسيطر على الوضع، فهو يطلق النار على اي شخص يتحرك في الشوارع، وهناك جرحى بل قتلى من جراء الصدام بين الجماهير الغاضبة وقوات الجيش والشرطة والأمن، وبدأت الحرائق تنتشر في العديد من المراكز التجارية، واشتعلت الطرقات بإطارات السيارات ليعم الدخان الأسود ذو الرائحة الكريهة العديد من الشوارع.

ازداد الوضع غموضا في كل انحاء السودان، ولم يعد الناس يفهمون مايجري بصورة واضحة، فالبعض كان يعتقد او يؤمن بان البلاد تتعرض لغزو خارجي، والبعض الآخر يعتقد بل يجزم بان هناك قتال يدور بين بعض وحدات الحرس الجمهوري التي تقوم بحراسة المواقع الإستراتيجية الحكومية، وبعض من وحدات الجيش التي يقودها بعض من ذوي الرتب الصغيرة الساخطين على قياداتهم، وفي حين اصر البعض بأن المعارك قد بدأت بالفعل بالإندلاع بين الجنوبيين المطالبين بحقوقهم، وبين الشماليين المتهمين بالإستيلاء على مقدرات السودان. والواقع لم تكن تلك الإشاعات سوى ضربا من الغيب وذلك نتيجة لعدم وضوح صورة الوضع العام في السودان.

وما ان بزغ فجرانتفاضة أكتوبر حتى اعلن عن إنتصار الشعب السوداني على جلاديه من الطغاة، واصحاب الإمتيازات، والمنتفذين، وسقط بذلك النظام العسكري الذي عرف بنظام عبود العسكري، ليتمكن السودان بعد ستة او سبع سنوات من القهر العسكري من التعبير عن إرادته، ورغبته في تشكيل او خلق نظام سياسي مدني ديموقراطي يحذى برضى وموافقة اهل السودان.

وما ان انتشر خبر سقوط نظام عبود، ونجاح إنتفاضة او ثورة اكتوبر من عام 1964م حتى عمت بلاد السودان المليون ميل مربع العديد من المظاهرات المؤيدة لرجالات ثورة أكتوبر، وظهرت العديد من القيادات السودانية متراصة ومتسامحة فيما بينها وموحدة من اجل خلق سودان معافى. وقد تمثلت ابرز تلك القيادات في العديد من الشخصيات المعروفة والمحبية لدى العامة امثال الشيخ علي عبد الرحمن والدكتور حسن عبدالله الترابي، والسيد الصادق المهدي، واقطاب الحزب الاتحادي الديمقراطي، وسكرتير الحزب الشيوعي السوداني عبد الخالق محجوب، والسيد بابكر عوض الله وغيرهم وغيرهم.

في اواخر شهر أكتوبر من عام 1964م كان محجوب الجعلي وبعد ان عادت البسمة الى نفسه والى روح مقهاه، يقول مرددا لكل من يلتقي به:-

- الحقيقة لقد كانت ثورة أكتوبر المجيدة حدثا سياسيا بارزا، بل هي في تقديري إنتفاضة شعبية حقيقية إشتراك فيها اهل السودان بهدف إزالة القهر العسكري. ولم يكن ابناء إرتريا بالبعيد من هذا الحدث، فهم وان كانوا يتعاطفون مع ما حدث، فإن العديد منهم إشتراك بل إلتحق بالفعل بفعاليات تلك الإنتفاضة، سواء من خلال التجمهر، والإعتصام وحتى التعرض لعنف بوليس النظام العسكري، ووصل الأمر بالبعض منهم ايضا بتقديم الدماء رخيصة وهم يواجهون رصاصات النظام. وكان يضيف قائلا:-

- ما ان انتصرت ثورة شعب السودان حتى ظهرت بوادر تأييد القوى السياسية السودانية للثورة الإرترية وقضيتها العادلة. ولم يمض على انفجار واندلاع ثورة أكتوبر 1964م اكثر من أسبوع حتى قامت او تناوبت العديد من الاحزاب السياسية السودانية وقواها الشعبية بعقد مختلف الندوات السياسية حول إرتريا وشعبها وقضيتها. وانتشرت الملصقات السياسية والمنشورات والبيانات الراضية لكل انواع العلاقات الجائرة التي كانت قائمة بين نظام الفريق إبراهيم عبود وهيلي سلاسي القهري، والتي كانت في محتواها مؤيدة لحق الشعب الإرتري في الإستقلال والتحرر.

عاش الكل فرحا بالإنّصار العظيم الذي تحقّق للشعب السوداني، وتنفس الكل الصعداء،
وزال عنهم كابوس وغم الطغيان الذي مثله نظام الجنرال عبود. وانفتح السودان على ابنائه،
وابناء جيرانه الرافضين لعبودية انظمتهم في إثيوبيا، وتشاد، وحتى الكونغو وإفريقيا الوسطى.

من ابجديات العمل السياسي بين التنظيمات والاحزاب السياسية، خاصة تلك التي تتبنى نهج الكفاح المسلح، هو إيجاد الإطار السياسي الذي يمكن من ترسيخ القناعات المشتركة تجاه مختلف المسائل ذات الإهتمام المشترك، بصورة بعيدة عن العفوية بحث تكون النتيجة تنفيذ العمل والمهام السياسية المشتركة. ولا يمكن بطبيعة الحال تحقيق مثل هذا، إلا بالإيمان العميق بأهمية اللقاء المشترك والحوار الهادف لمعالجة اي اشكال قد يطرأ اثناء المسيرة الثورية.

إذا كان هذا هو الصحيح، فإن العلاقة التي كانت تربط جبهة التحرير الإرترية بحركة تحرير إرتريا لم تكن تراعي تلك الابجديات المذكورة اعلاه. فالجبهة وهذه هي الحقيقة، كانت ومنذ بدأ صراعها مع الحركة، لا تؤمن إلا بإقصاء الحركة، والحلم بالقضاء عليها بصورة مبرمة، دون ان تراعي حتى إعتبرات الإخوة النضالية التي تجمع اصحاب هدف واحد، والإحترام المتبادل. وبالتالي وامام طغيان عقلية التسلط هذه، كانت كل المحاولات الجادة لرأب الصدع بين الطرفين، من قبل الحريصين على مصلحة الثورة الإرترية من المخلصين من ابناء إرتريا او حتى الأجانب تذهب ادراج الرياح، دون اي نتائج تؤدي الى خدمة المصلحة الإرترية العامة.

كان محجوب الجعلي وبإعتبره مهتما بالشأن الإرتري ومراقب لتطورات اوضاع وقضايا الثورة الإرترية يتساءل بإستمرار قائلاً:-

- هل لخلاف حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية مصوغ قانوني او اخلاقي؟ ولماذا تسعى الجبهة تحيدا الى اقضاء الحركة، حتى لو أضطرت في ذلك الى إستخدام السلاح؟
إلا انه يرد سريعا على نفسه قائلاً:-

- لم يكن هناك اي داعي او مصوغ قانونيا كان ام اخلاقيا، خاصة وان كل منهما كان يدعي بانه صاحب قضية، وصاحب مبادئ يسعى لتحقيقها خدمة لمصلحة الشعب الإرتري. وفي مثل هكذا قناعات كان من المفترض ان يتخلص الطرفين من عقدهما ويسعيا الى ازالة الترسبات العالقة، حتى يتمكنوا من بناء تنظيم

سياسي إرترتي مناضل، يمكن ان يحظى بعطف وتأييد بل مباركة معظم الإرتريين
إن لم نقل كل الإرتريين.

وكان يضيف دون اي ملل:-

- لم يكن تنافس الطرفين شريفا، بل كان منصبا من اجل تحقيق حلم السيطرة على
الطرف الآخر. وبالتالي كان هم كل منهما الكيد بالطرف الآخر، بدلا من ان
يلتزما بالتنافس الشريف المبني على الرؤية الصادقة وعلى إحترام وتقدير الآخر.
وبالتالي إثراء العمل السياسي المشترك. والحقيقة كان السبق الأكبر من مثل هذا
السليبات من نصيب جبهة التحرير الإرترية.

لم يكن الصراع بين حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية تحكم فيه، مسائل حقائق
الإعتبارات الموضوعية، وإستحكام العقل المنفتح، بل كان الهم فيه منصبا على كيفية إفسال
الخصم عبر التشكيك في نزاهته، وتشويهه عبر إختلاق الاكاذيب، والقيام بمناورات تضليلية
تهدف فيما تهدف اليه الى التستر على العيوب الذاتية، والإدعاء بالباطل، وتسخير كل
الإمكانات بما فيها العلاقات السياسية الخارجية لضرب الطرف الخصم.
وقد كان محبوب الجعلي صادقا عندما كان يقول:-

- لم تستفيد قيادات جبهة التحرير الإرترية، ويقدر ما قيادات حركة تحرير إرتريا من
تجارب الماضي، خاصة ما يتعلق بالعمل السياسي العام لفترة الاربعينات. فقد
كان الناس الملتزمون، او الذين كانوا يدعون بإلتزامهم بالخط السياسي للحزب
الفلاني، او معارضتهم للخط السياسي الفلاني، غير واقعيين في تعاطيهم
ومتطلبات مرحلة العمل السياسي الاربعيني الذي كان يحتم على الكل رص
الصفوف، والإبتعاد عن المكاييدات السياسية، وعدم إعطاء الفرص للأعياب
المستعمر، ونبذ الخلاف خاصة المذهبي منه، والتركيز على ان إرتريا للإرتريين
جميعا، وليس لأي واحد الحق اكثر من الآخر وغيره وغيره.

وعلى الرغم من صدق محبوب الجعلي فيما كان يؤمن به او يقوله دون وجل او خجل، فإن
قادة العمل السياسي الذين تبوؤوا المراكز المتقدمة في صفوف حركة الثورة الإرترية، سواء
الممثلين منهم في حركة تحرير إرتريا او جبهة التحرير الإرترية بالقادرين على إستخلاص
الدروس والعبر من التجربة السياسية لعهد الأربعينات. فقد كان هم معظمهم خاصة

المحسوبين منهم على جبهة التحرير الإرترية منصبا في كيفية التباهي بإنزال الخسائر
بخصمهم السياسي، حركة تحرير إرتريا، حتى وان كان ذلك الخصم محقا في طرحه
السياسي او تصرفه العملي. وعدم القيام بالتحرك ولوبصورة ادنى لتنوير وتوعية المناصرين
بحقائق الواقع القائم، واقع الثورة الإرترية.

وإزدادت بل تعمقت الإتهامات المتبادلة. ففي الفترة التي كانت فيها قيادة حركة تحرير إرتريا
تبذل جهودها لتنظيم وتطوير قدراتها داخل إرتريا وخارجها، خاصة في المنطقة العربية،
وتحديدا في مصر في منتصف الستينات، وتسعى الى كسب عطف وتأييد مثقفي وساسة
المنطقة العربية لصالح النضال التحرري الإرتري، كانت قيادة جبهة التحرير الإرترية،
وانطلاقا من نظرتها التنظيمية المتعصبة التي لا تقبل بالشريك المتساوي او الشريك الفاعل،
تتشر كل ما يسيئ الى سمعة حركة تحرير إرتريا. وجريا وراء ذلك، لم تتهاون الجبهة في
وصف حركة تحرير إرتريا بالحركة الشيوعية، الماسونية، العربية ألسوفينية المعادية لإرتريا
وشعبها، بل المعادية للشعوب العربية ومناوئة للإسلام وللمسلمين. ولم تتورع في التقليل من
نضالات منتسبي حركة تحرير إرتريا، خاصة تلك التي كانت تتم بواسطة رجالات الحركة
المنتسبين في الشرطة الإرترية، وبعض الدواوين الحكومية، وتصفها بالنضالات العبيثة
وعديمة الجدوى، وتهدف بالاساس الى تضخيم ادوار بعض قياداتها.

كما ان بعض قيادات حركة تحرير إرتريا، لم تراخ هي ايضا اواصر الاخوة الإرترية النضالية
التي تربطها بجبهة التحرير الإرترية، فكانت تسعى الى الصاق تهمة العمالة بالجبهة، سواء
لرموز الإقطاع الإرتري، اوالاتجاهات الطائفية الظلامية.

ومع الإتهامات المتبادلة، وحالة ازدياد المكائد السياسية، كان كل طرف من اطراف الثورة
الإرترية، اي حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية، يسعى الى إثبات جدارة ذاته أولا،
وقدرته على التحدي وفعله ثانيا، وفرض ما يراه وما يتمشى مع مصالحه حتى وان كانت
تلك المصالح لا تخدم الخط الوطني العام ثالثا.

وعلى الرغم من ادعاء قيادة جبهة التحرير الإرترية بانها قد تمكنت من الإعلان منذ العام
1961م بأنها تقود عملا ثوريا مسلحا مناهضا لإثيوبيا، فإن قيادة حركة تحرير إرتريا
وانطلاقا من مفهوم التسابق والنكاية أعلنت في العام 1965م عن برنامجها السياسي، الذي
اخفته منذ تأسيسها لدواعي كانت تصفها بضرورة المحافظة على سرية تنظيمها، والذي تبنت

ووضحت فيه رؤيتها واهدافها السياسية في كيفية تحقيق الوحدة الوطنية، والعمل من اجل إستقلال إرتريا، وإيجاد حكم ديمقراطي، بينما لم يكن لجبهة التحرير الإرترية منذ إعلان تأسيسها حتى ذلك الوقت اي برنامج سياسي معلن.

كان النقاش يحتدم ويشتد وبإستمرار بين جمع من ابناء إرتريا خاصة القاطنين في مدن شرق السودان مثل كسلا، والقضارف وبورت سودان، فالبعض كان يؤيد جبهة التحرير الإرترية، والبعض الآخر كان يؤيد حركة تحرير إرتريا، ووسط هذا وذلك، ووسط زخم التنافس كانت العديد من الحقائق للوضع القائم ضمن إطار مجتمع الثورة تضيع دون اي مقابل. وفي إحدى الامسيات الكسلاوية، وبينما كان محجوب الجعلي يرتشف فنجان قهوته المعتادة، قدم اليه شخص إرتري عرف نفسه بأنه يكنى بطاهر أبو فاس، وبعد تبادل التحايا والسلام، بادر محجوب الجعلي سائلا:-

- مرحبا يا أخي من اين انت؟ ومن اين اتيت؟

رد طاهر أبو فاس قائلا:-

- انا إرتري الاصل سوداني الجنسية، وكنت احد منتسبي إحدى وحدات الارطة الشرقية للجيش السوداني. وقد إلتحقت بجبهة التحرير الإرترية مع الأوائل، وانا الآن في اجازة قصيرة للأهل هنا في كسلا...
ودون ان يكمل باغته محجوب الجعلي ليقول:-

- لم افهم ماذا كنت تعني بالاوائل، فهل انت مع من التحق في البداية، اي منذ ان شاع إسم حامد ادريس عواتي، ام كنت من اواخر من التحق في البداية؟

رد أبوفاس قائلا:-

- الحقيقة فقد إلتحقت في نهاية العام 1963م وقبل عقد إجتماع كر.

إنتظر محجوب الجعلي قليلا، وما ان لاحظ بان أبوفاس قد انهى كلامه حتى قال:-

- اهلا وسهلا، وانا سعيد للتعرف بك، وإذا لا تمنع ارجوا إخباري عن آخر تطورات الساحة الإرترية، خاصة ونحن هنا في مدينة كسلا نعيش حالة من القلق من جراء ما نسمعه من مكائدات، بل صراعات بين قادة حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية.

كان طاهر أبوفاس رجلا صادقا وهو يقول:-

- في البداية اسمح لي بان اقول بان الصراعات الناشبة بين القيادات سواء بين جبهة التحرير الإرترية التي انتمي اليها، وبين حركة تحرير إرتريا، او بين فلان او إعلان من هذا الإتجاه او ذلك حتى ضمن فصيل واحد، اقول بان لا معنى لتلك الصراعات. فنحن يجب ان نعي بان لنا عدوا شرسا لا يفرق بين هذا وذلك، حتى انه لا يفرق بين من هو في هذا التنظيم، او بين من هو في ذلك الفصيل. فالعدو ينظر لكل الصالح والطالح من الإرتريين نظرة واحدة، ويسعى قدر امكانه لكسب اكبر عدد ممكن من العملاء ليحقق بهم اطماعه.
- إستغرب محجوب الجعلي، فهو لم يكن يدرك بان أبوفاس يتمتع بمعرفة واسعة فيما يتعلق بسير الأوضاع ضمن إطار الثورة الإرترية فقال:-
- انني وافقك على ما قلته. وقد كان قصدي هو ان اوضح لك باننا نعيش حالة من الإحباط. ومع ذلك يجب علينا عدم الإنجرار وراء عواطفنا، بل علينا الوقوف مع الحقيقة سواء كانت مع هذا الجانب من قوى الثورة او ذلك الجانب.
- تدخل طاهر أبوفاس بعد ان إطمئن وقال:-
- الاخبار في إرتريا جيدة للغاية، وما نسمعه عن وجود صراعات بين مختلف الأطراف الإرترية، حتى وان كانت هناك أشياء حقيقية، فإن معظم ما يقال يدخل في تقديري في باب المبالغات، وهي إشاعات غير صحيحة الهدف منها هو إرباك الناس وصرفهم عن التفكير والإلتفات الى القضايا الجادة وما اكثرها. وقد علمت قبل قدومي الى كسلا، بان بعض الوحدات المقاتلة من حركة تحرير إرتريا قد توجهت في إحدى أيام شهر يوليو من هذا العام (1) الى منطقة الساحل الشمالي الإرتري، وهي الآن تتمركز حسب ما علمته في منطقتي هجر وأفلاق، ويقال ايضا بان وحدات اخرى تتمركز الآن في منطقة سمهر.
- أنبهر محجوب الجعلي وكاد ان يغمى عليه من هول ما سمعه، إلا انه تمالك نفسه وقال على الفور:-
- لم اسمع قبل الآن بان حركة تحرير إرتريا تملك وحدات عسكرية تحركها اينما وكيف ارادت، وكل الذي اعرفه حقيقة هو ان الحركة قد اصدرت بيانا توضح فيه

(1) يقصد عام 1965م.

اهدافها السياسية بصورة معلنه، ويكاد هذا لاول مرة، وهو شئ سار بكل معنى الكلمة. اما ما اسمعه الآن من تمركز وحدات من المقاتلين من اعضاء حركة تحرير إرتريا في منطقة الساحل الشمالي فهذا ايضا شئ يفرح ويثلج القلب.

وتابع قوله:-

- علمت ايضا بان القوة التي إنطلقت الى الساحل الشمالي مسلحة بصورة جيدة، وهي تملك معدات عسكرية ربما لا نمتلكها نحن في جبهة التحرير الإرترية. واعتقد بان تسليح تلك الوحدات تم من خلال ما قدم من دعم عسكري من بعض الاحزاب السياسية السودانية للحركة، وربما يكون من الأرجح من الحزب الشيوعي السوداني، لأن العديد من اعضاء الحركة كانوا حتى الوقت القريب اعضاء نشطين في العديد من خلايا وافرغ الحزب الشيوعي السوداني. اراد محجوب الجعلي مواصلة الحديث إلا انه لم يتمكن من تحقيق ما اراده، اذ ان طاهر أبو فاس أصر للذهاب وانه على عجلة من امره فقال:-

- ارجوا المعذرة فانا مضطر لتركك لانني سوف اغادر كسلا يوم غد في الصباح الباكر، وقبل طلوع الفجر، وانني اريد الإستفادة من الوقت المتبقي لي لتمضيته مع الاسرة.

وإفترق الإثنان دون ان يتمكنوا من مواصلة حديثهما الشيق.

بعد اسبوع من لقاء طاهر أبو فاس ومحجوب الجعلي، تناقلت الاخبار في كسلا عن حدوث صدام مسلح عنيف بين وحدات من جبهة التحرير الإرترية وحركة تحرير إرتريا. وما ان سمع ذلك حتى بدت عليه إمارات القلق الممزوج من بالخوف من شئ لا يعرفه. وبمحض الصدفة سمع بعضا من زبائن مقهاه وهم يتبادلون الاخبار حول آخر التطورات الجارية في الساحة الإرترية، خاصة المتعلقة بالصدامات التي يقال بانها اندلعت بين فصيلي الثورة الإرترية، ودون اخذ الإذن من المتحدثين تجراً وقال:-

- اعتقد بانكم تتحدثون عن الأوضاع الجارية في إرتريا، وتتبادلون المعلومات حولها.

إلتقت كبيرهم الى محجوب، وبعد ان رحب به احسن ترحيب قال:-

- نعم ياسيد محجوب فنحن نتحدث وتبادل المعلومات كما قلت حول الوضع في بلادنا. والواقع فإننا قد صدمنا عندما علمنا بوقوع إشتباكات عنيفة بين جبهة التحرير الإرترية وحركة تحرير إرتريا. لكن ما العمل؟ وان ما حدث كان متوقعا، لان كل المؤشرات ومن ضمنها تبادل الإتهامات بصورة او اخرى، كانت تشير الى قرب الانفجار المأساوي الذي كان يخشاه الكثيرون.

تدخل أصغرهم وهو شاب في مقتبل العمر، وقال:-

- نعم انه لشيئ يحز في النفس، وان الذي حدث لا يمكن ان يفرح احدا بإستثناء سدنة النظام الإثيوبي واسيادهم الذين يبتهجون هذه الايام، ويعبرون عن فرحهم وبهجتهم في العديد من مراكز إقاماتهم سواء في كسلا او القصارف، ويعتقدون بان إنفجار الصراع بين فصيلي الثورة الإرترية هو ما يخدم مصلحة ووحدة وبقاء إثيوبيا.

حاول محجوب الجعلي الإستفسار اكثر فسأل قائلا:-

- يبدو ان ما سمعته منكم الآن وانتم تتحدثون، بأنكم على إطلاع واسع بما يجري في الساحة الإرترية، خاصة ما يتعلق بطبيعة الصراع المتفجر بين حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية، والذي اود معرفته هو ما هو الجديد، واعنى كيف وباي صورة حدث الصدام، ومن هو البادئ في اعتقادكم؟

لم يتمهل كبير الجماعة فهو كان يعرف محجوب الجعلي منذ وقت طويل، ويعلم مدى تعاطفه والتزامه مع الإرتريين، ولم يكن يشك فيه حتى وان كانوا يتحدثون عن مايجري في ارتريا بصراحة ووضوح وفي مكان عام، فقال على الفور ودون اي خشية:-

- حسب علمي ووفقا لما سمعته من مصادر متعددة وموثوقة، هو ان جبهة التحرير الإرترية لم تكن ترتاح مطلقا لحركة تحرير إرتريا، ولم تكن تبادلها الود مطلقا. وكان العديد من عناصرها يتبجحون علنا بان قواتهم سوف تلقن حركة تحرير إرتريا درسا لن ينسونه، وبالفعل فقد تمكنت قوات الجبهة من مهاجمة إحدى مجموعات حركة تحرير إرتريا في منطقة عيلا سعاد.

واضاف قائلا:-

- كان اندلاع الصدام خسارة كبيرة، وكانت نتائجه فاضحة تماما. وان الناس كانت تتوقع بان تمركز وحدات من حركة تحرير إرتريا سوف يساعد على تكثيف الجهد وتعميقه بإتجاه مقارعة الجيش الإثيوبي في العديد من مناطق إرتريا، وهذا بدوره سوف يمكن من ردم الهوة بين التنظيمين، لأنهما سوف يضطران لمواجهة عدوهما بصورة مشتركة. إلا ان كل تلك التوقعات لم تكن حقيقية، وانفجر ماكان الكل يخشى منه، وهو الصدام المسلح، والدخول في حرب اهلية يروح ضحيتها مواطني إرتريا. وما إستشهاد العديد من ابطال حركة تحرير إرتريا برصاص اخوانهم مقاتلي جبهة التحرير الإرترية، وعلى رأسهم قائد إحدى المجموعات وهو البطل المناضل محي الدين علي، إلا خسارة أليمة لكل الإرتريين الجبهيين منهم والحركيين⁽¹⁾.

ساد الصمت مقهى محبوب الجعلي، وسرى الحزن البائس على وجوه رواد المقهى، فلم يكن من محبوب الجعلي سوى اتخاذ قرارا ينص على إقفال مقهاه لفترة أسبوع تعبيرا عن حزنه وإستينائه لإنفجار الوضع بين حركة تحرير إرتريا وجبهة التحرير الإرترية ويات محبوب الجعلي يتخيل كل السيناريوهات المحتملة وهو في طريق عودته الى منزله.

(1) الجبهيين والحركيين مصطلحان كانا يطلقان لأول على جبهة التحرير الإرترية، والثاني على حركة تحرير إرتريا

إعتقد المجلس الاعلى لجبهة التحرير الإرترية⁽¹⁾ وهو اعلى سلطة سياسية إرترية، او كان يؤمن بصورة مطلقة، بان الإعلان عن تشكيل اربع مناطق عسكرية في إرتريا في العام 1965م هو عمل يوضح مدى تطور جبهة التحرير الإرترية، ويبين قدراتها على الإنتشار بل الفعل العسكري في ربوع إرتريا بصورة كاملة ومتفاعلة.

إلا ان الواقع الذي تجاهلته تلك القيادة، هو ان إتخاذ قرار إنتشار او نشر وحدات عسكرية لم يكن يعنى كما ادعت، بل لم يكن سوى محاولة لإرضاء الغرور الذاتي، المتمثل في انها تستطيع ان تسيطر على الوضع، خاصة اذا تمكنت من السيطرة والإنتصار عسكريا، عبر تبني قرار تصفية الخصوم بما فيهم تنظيم حركة تحرير إرتريا.

كان محجوب الجعلي وهو الذي كان يتابع وبدقة سير الاوضاع وتطوراتها في إرتريا، خاصة بعد إندلاع القتال بين جبهة التحرير الإرترية وحركة تحرير إرتريا في منطقة عيلا سعدا، وتبني قرار الإنتشار العسكري يقول صادقا لكل من يسأل مستفسرا عن اهمية ذلك الإنتشار:-

- ان قرار الإنتشار وبصورة سريعة لم يكن سوى قرارا إرتجاليا، كان الهدف منه التستر على الإنهيار الذي بدأ ينخر جسم جبهة التحرير الإرترية. فما ان إنفض الناس من اجتماعات القيادة الثورية التي كانت تعقدها في مقرها الدائم في مدينة كسلا، حتى ظهرت الحساسيات فيما بين من عينوا حديثا قادة لمختلف المناطق العسكرية والقيادة الثورية، واخذت الحزازات الشخصية تغطي بينهم قبل ان يتحركوا حتى من كسلا.

وكان يضيف وهو يحس بان واجبه يملي عليه ذلك قائلا:-

- ثبت تماما بان المجلس الاعلى لجبهة التحرير الإرترية، خاصة بعد إعلانه الإنتصار العسكري على حركة تحرير إرتريا في منطقة عيلا سعدا، لم يكن

(1) كان المجلس الاعلى، اعلى سلطة سياسية لجبهة التحرير الإرترية منذ الإعلان عن تكوين وتأسيس الجهة في العام 1961م، وكان يضم في وسطه شخصيات غير متجانسة ومتصارعة في اغلب الاحيان، من ابرهزم ادريس محمد آدم، عثمان ادريس قلايدوس وعثمان صالح سبي

يختلف في مفاهيمه وتقديراته لمفاهيمه وتقديراته واقع الإنقسام والنشرذم الذي طغى على الوضع السياسي الإرتري في الاربعينات، وإن قرار تصفية حركة تحرير إرتريا الذي تبناه وحاول التمسك به، لم يكن في الواقع سوى قرارا يعكس ما تمخض عنه اجتماع كر الذي عقد في بداية العام 1964م، مثله مثل القرارات التي كانت تتخذها قوى الردة الطائفية والعشائرية لمرحلة الاربعينات. كما ان محجوب الجعلي لم يتلأأ وهو يحاول تحليله للوضع السياسي العام لجبهة التحرير الإرترية من خلال التركيز والقول:-

- لم تنطلق فكرة او رؤية تكوين وتأسيس جبهة التحرير الإرترية منذ البداية على قناعة بضرورة إيجاد جبهة ثورية وطنية ذات بعد إستراتيجي واضح، تحدد الطبيعة السياسية للنضال السياسي والعسكري المنوي القيام به. وكننتيجة لذلك كانت الاوضاع والعلاقات الداخلية بين مختلف الاطراف المكونة لجبهة التحرير الإرترية مثل المجلس الاعلى والقيادة الثورية التي كانت متمركزة معنا هنا في كسلا تسير من سيئ الى أسوأ. بالإضافة الى ذلك فإنه كان يقول:-

- كان المجلس الاعلى لجبهة التحرير الإرترية يستخدم الخلافات والتناقضات القائمة بين مختلف اطرافه، وبينه وبين قيادة حركة تحرير إرتريا كعامل تخويف عند الحديث عن ضرورة تعميق وتمتين الوحدة الوطنية الإرترية. وبالتالي فإنه كان يرى بان الوصول الى تحقيق المصالح الخاصة بما فيها المصالح الشخصية مرتبطة بصورة او اخرى بالتشبث بالخلافات الإرترية - الإرترية، وإستخدامها كورقة ضغط على كل من يحاول التخلص من او رفض ممارسة حالة التخلف الإجتماعي الذي سيطر على جبهة التحرير الإرترية.

والواقع فإن الخلاف وحتى الإنقسام في حد ذاته لم يكن باللعة التي لحقت بإرتريا وشعبها فقط، فالعديد من شعوب العالم كانت ولا زالت وبنسب متفاوتة تعاني من حدة إختلافاتها وإنقساماتها. ففي هذا المجال كان محجوب الجعلي وعلى الرغم من انه لم يولد من أبوين إرتريين، كان مدركا لحقائق خطورة الوضع الإرتري وتطوراته داخل اطار مجتمع الثورة الإرترية، ولذلك وفي معرض حديثه عن سير وماهية الإنقسامات الإرترية كان يقول:-

- هناك العديد من الاطراف الإرترية، وبشكل خاص المجلس الاعلى لجبهة التحرير الإرترية، لم تتورع منذ بداية التأسيس من إستغلال حالة الخلاف سواء داخل مراكز اطر جبهة التحرير الإرترية، او ما بين الجبهة والحركة. ولذلك كان المجلس الاعلى يلجأ الى إثارة الخلاف وتعميقه، وبحبك المؤامرات وتضليل الرأي العام الإرتري. ولم يكن يعمل من اجل تطوير الجبهة التي من المفترض ان يقودها سياسيا وثقافيا وفكريا. مما ادى ذلك الى إضعاف الجبهة، وإعطاء الفرص للإثيوبيين للتوغل عميقا لخلخلة الشخصية الوطنية الإرترية وإضعافها ومن ثم تقويتها.

ولم تختلف القيادة الثورة التي كانت قابضة في مدينة كسلا، والتي كان من المفترض منها ووفقا للمهام التي كلفت بها مثل، متابعة شؤون الثورة بصورية يومية، عن المجلس الاعلى. وهي وإن كانت تصنف في المرتبة الثانية بعد المجلس الاعلى مباشرة، إلا انها لم تساهم في حلحلة الإشكالات التي بدأت تنخر في جسم الجبهة، حتى انها لم تستطع من حلحلة الإشكالات اليومية التي كانت ولا زالت تقع بين افراد مجتمع جبهة التحرير الإرترية. وعند التطرق ولو بصورة موجز عن القيادة الثورية كان يقول وبطريقة حازمة:-

- لم تختلف القيادة الثورية (1) في تركيبها وفهمها ووعيتها السياسي عن فهم ووعي وتركيبية المجلس الثوري. فهي وان كانت قريبة لإرتريا باعتبار تمركزها في مدينة كسلا الحدودية، إلا انها كانت بعيدة فعلا وروحا عن فهم التطورات اليومية للمقاتلين. وهي ومنذ تكوينها لم تبذل اي جهد حتى هذا اليوم لتطوير القدرة التنظيمية لجبهة التحرير الإرترية، ليس هذا فحسب، بل ساهمت وإنغمست حتى الأذنين في صراعات اعضائها الجانبية، وتأثرت بالفعل وبصورة واضحة ببعض اعضاء المجلس الأعلى لجبهة التحرير الإرترية، وساهمت الى حد كبير على تقويت القواعد المقاتلة.

لا شك لقد بدأ الكفاح الإرتري المسلح في العام 1961م، وقد كان في حد ذاته، وعلى الرغم من عدم وجود إستراتيجية تحرير واضحة، او برنامج سياسي يرشد الى الطريق الصحيح من

(1) من ابرز اعضاء القيادة الثورة هم ادريس عثمان فلايدوس وهو كان يشغل سكرتيرها، والزين ياسين، ومحمد سعيد آدم، واحمد محمد علي، وجعفر محمد وصالح حدوق وهؤلاء الأربعة التحقوا بالثورة بعد ان قدموا استقالاتهم من الارطة الشرقية للجيش السوداني

اجل بناء وتكوين إرتريا، التي من المفترض ان تكون بعيدة تماما عن إرتريا نهاية الاربعينات، او إرتريا العهد الفيدرالي، كان وسوف يظل حدثا كبيرا يستحق التقدير والإشادة من قبل كل مناصري الحق والعدالة في العالم.

إلا ان الواقع كان عكس الصورة الوردية التي رسمها العديد من ابناء إرتريا حول مستقبل نضالهم السياسي، فقيادات العمل السياسي والعسكري في تلك الفترة سواء مثلت في بعض رموز وقيادات جبهة التحرير الإرترية، ام حركة تحرير إرتريا لم تكن بمستوى طموح ارادة التحرر نضال الشعب الإرتري، ولم يطل الوقت حتى إنكشف المستور الذي كان يلف جبهة التحرير الإرترية، فإنكشف اولا وقبل كل شيء عدم جدية المجلس الاعلى لحلحلة إشكالات الثورة الداخلية، وثانيا لم تستخلص العبر والدروس التي يمكن ان تفيد تطور جبهة التحرير الإرترية، مع ان تاريخ العمل السياسي الإرتري كان ولازال حافلا بالعديد من تجارب تاريخ الشعب الإرتري وبطولاته، وما تقسيم إرتريا الى اربع وحدات عسكرية سوى إنعكاس لحالة الترددي الذي صاحب جبهة التحرير الإرترية منذ بداية إنطلاقتها، وهروب من مواجهة تحديات وصعاب تلك المرحلة.

في صبيحة 31 ديسمبر من عام 1964م ودع ادريس محمد صالح اسرة باناي في بلدة قرورة السودانية، وتوجه قاصدا ارض الأجداد. وبعد رحلة غير متعبة على ظهور الجمال، وصل ما بعد منتصف نهار ذلك اليوم مع اسرته الى منطقة تسمى علاكيب (1) مارا بالعديد من المناطق مثل أفلاق، وعيلاسعدا وغيرهما. وما ان وصل الى المكان الذي اختاره، طلب من السيدة زوجته وابنه منصور وايضا إبنته زينب لمساعدته في انزال حمولة الجمالين الذين استأجرهما من قرورة، وعقلهما بالقرب منه. وماهي لحظات حتى قدم اليه احد سكان المنطقة، ورحب به بحرارة كما يفعل كالعادة اهل المنطقة كلما مر عليهم شخصا عابرا للطريق، وقدم له الماء والحطب، وطلب منه اخذ راحته لحين ان يحضر له ولاهل بيته طعام الغداء.

وعلى غير التوقع عاد الشخص الذي استقبلهم سريعا، وهو يحمل بكلتا يديه صحن خشبيا متوسط الحجم يسمى أطيشو (2) ، وبه عصيدة ذرة الفيتريت البيضاء، مسكوبا عليها لبن طازج، وكمية من السمن الحبابي البلدي، وطلب منهم بأدب جم تناول طعام غدائهم، بينما وقف هو من اجل خدمتهم، موزعا عليهم اكواب معدنية مليئة بالماء البارد. ما ان فرغوا من تناول الطعام، حتى قام ادريس بغسل يديه، وصلى صلاة الظهر والعصر جمعا كما يفعل من هم على سفر. وبينما كان الشخص الذي استقبلهم واقفا بالقرب منهم، وهو يوزع ابتساماته الصادقة عليهم دون تكلفة قال موجها كلامه لإدريس:-

- إنني من ابناء هذه المنطقة. واسمى محمد علي، ونحن من قبيلة رقبات وتكنى عشيرتنا بأبهوى. اما عملي هو انني اقوم بالمتاجرة بالعديد من اصناف الحبوب الغذائية، والاقمشة، والسكر والشاي، والبهائم في منطقتنا هذه، وايضا في كل من قرورة وطوكر، وصولا حتى بورت سودان.

(1) علاكيب هي منطقة تقع في شمال شرق الساحل الإرتري، على مسافة ليست بالبعيدة من الحدود السودانية.

(2) أطيشو هو وعاء خشبي دائري الشكل، يستخدمه سكان الريف الإرتري ليضعوا فيه عصائهم.

إرتاح ادريس اولاً على الحفاوة التي استقبلها بهم محمد علي نيابة واصالة عن اهله ونفسه، وتأكد له بان ابناء ارتريا، خاصة سكان الريف هم خيرون ويسعون بإستمرار الى تقديم يد المساعدة لكل من يحتاجها من عابري الطريق او الضيوف الذين ياتوت لزيارتهم. كما ان ادريس كان منبهراً بالإخضرار الذي عم عموم المنطقة التي يتواجد بها. واحس بنشوة غريبة عندما شاهد بهائم محمد علي ترعى بامن وامان بالجوار. وبعد ان ادرك بان مستضيفه في انتظاره قال تفاديا للإحراج:-

- إنني سعيد بالتعرف عليك. وقبل كل شيء اود ان اعبر لك عن تقديري وشكري

لترحيبك بي وباسرتي وإستضافتنا، وسوف لن انسى لك صنيع هذا الجميل...

تدخل محمد علي دون ان يسمح لادريس بمواصلة حديث ثنائيه قائلاً:-

- انا لم اقم بشيء اشكر عليه وبشيء غير متعارف به. فأكرام الضيف وتوفير

الراحة له هما من صميم عاداتنا وتقاليدنا. وانا عندما اقوم بخدمتك وخدمة اسرتك

فهذا من صميم واجبي وعلي القيام به.

ادرك ادريس اصالة محدثه فقال على الفور:-

- نعم ... فنحن وحتى ان لم يحدث وان تعرفنا على بعضنا قبل الآن، فإنك حقيقة

والشهادة لله لم تقصر بحقنا عليك كضيوف لك. ومهما كان فإن لساني ليعجز

عن تقديم الشكر لك ولاسرتك. وعموما فأنا من ابناء منطقة سمهر، وكنت اعمل

في السودان وتحديدًا في كسلا، وقد اصبحت لي الغربة في السودان امرا عصيا،

فقررت التوجه الى مسقط رأسي في قريتي قرية الشيخ حليب القريبة من مدينة

مصوع.

واضاف قائلاً:-

- لقد اخذنا نصيبنا من الراحة. وكما تعلم فإن الطريق امامنا لازال طويلاً، وعلينا

الوصول الى وجهتنا القادمة قبل حلول الظلام حتى نتبين ماتطأه اقدامنا.

لم يتصور محمد علي ان يطلب ادريس الإستاذان له لمواصلة سفره بهذه العجالة، فقال وهو

مبدياً بعضاً من الإحتجاج:-

- كيف ولماذا العجلة؟ فأنت لم يمر على قدومك سوى القليل من الوقت، ولم اقم

حتى الآن بما تتطلبه ضيافتك لك.

رد ادريس قائلاً:-

- اعتقد بان الوقت يمر بنا سريعاً، وعلينا الإستفادة منه قدر المستطاع، والوصول

الى الجهة المطلوبة، وفقاً للخطة التي رسمتها من قبل.

تدخل محمد علي بعد ان ادرك بان من غير المفيد ثني ادريس، وعليه تقديم المساعدة له

حتى يحقق مايريداه فقال:-

- إذا كان هذا هو قرارك فلا اعتراض لي عليه، ولا امانعك ايضاً. فأنا كنت اود ان

تمكث معنا حتى يوم غد اذ ان والدي سوف يعود الينا من سفرته، وهو الآن في

طريق العودة.

إلا ان ادريس كان متعجلاً لمواصلة الطريق فقدم شكره لمحمد علي وقال:-

- ارجوا ان تسمح لنا بالذهاب، وتدعوا لنا في ان نوفق في اجتياز ما تبقى لنا من

طريق بأمن وسلام.

اقترح محمد علي قائلاً:-

- انني سوف اصطحبكما حتى المنطقة التي من المفترض ان تتاموا فيها، وبعد

تسليمكم لشيخ قرية مباء التي لا تبعد من هنا اكثر من خمس ساعات، سوف اعود

الى منطقتنا حتى اصلها في الصباح الباكر وقبل بزوغ الفجر.

إستغرب ادريس اذ انه لم يكن يتوقع ان يصير محمد علي على مرافقتهم حتى قرية مباء التي

سوف يصلونها بعد ان يسدل الظلام ستاره عليها، ومن الخطورة بمكان ان يعود ادراجه الى

منطقته دون ان يكون له رفيق، مع العلم بان تلك المنطقة تعج بالذئاب الكاسرة، فقال:-

- ولماذا تكلف نفسك وتتكبد مشاق الذهاب والعودة؟ فنحن وقبل ان يحل الظلام

سوف نكون بإرادة المولى في مأمن عندما نصل الى قرية مباء.

اصر محمد علي لمرافقة ضيوفه، وعلى الفور طلب منهم البدء بالرحيل توفيراً للوقت.

وحسب ما كان متوقعاً، وبعد مسافة خمس ساعات ونيف سيرا على الاقدام، وطأت اقدام

ادريس واهله ارض قرية مباء، التي كان يصير على الوصول اليها دون ان يدري سبباً او

مبرراً وجيهاً لذلك. وما ان وصلها لم يخب ظنه بها، فقد وجدها قرية عامرة تعج بالناس،

وتشتهر بجمال الشاطئ المحاذي لها، وبها عدة آبار يرتوى بها اهل القرية والعديد من اهالي

القرى المجاورة. تلك المياه التي وجدها عذبة وطاعمة المذاق والنقاء، حتى انها اصبحت مضرًا لامثال واحاديث عموم اهل المنطقة.

كان محمد علي يعرف حق المعرفة، شيخ ومؤذن وإمام قرية مباء الشيخ منصور ابن الشيخ عبدالله، وهو شيخ يحظى باحترام العديد من اهالي القرى المجاورة، وشهرته تتعدى عموم المنطقة. فهو ومنذ ان ورث عن ابيه مهنة تطبيب ومعالجة الأهالي ببعض الأعشاب، والدعاء، وصنع الأحجبة الواقية من الشرور، يقوم بمساعدة كل من يأتي اليه طلبًا للشفاء من مختلف القرى حتى النائية منها، وكل من يريد ايضا الحصول على الذرية الصالحة، ويتوسط لهم في ذلك لدى اولياء الله الصالحين.

وقف محمد علي ومعه ادريس وباقي اسرته على باب منزل الشيخ، وهو منزل شبيه بمنزل اهل القرى المجاورة، والذي يدعى او يعرف بالمعدني⁽¹⁾ ومصنوع بصورة كاملة بالمواد التي تجود به المنطقة، من اغصان واوراق الشجر. وماهي لحظات حتى نادى محمد علي باعلى صوته قائلاً:-

- السلام عليكم يا اهل البيت.

وعلى الفور سمع ردا يقول:-

- وعليك السلام، تفضل من انت؟

شاهد محمد علي وادريس الشيخ منصور ابن الشيخ عبدالله وهو واقفا امامهم، بعد ان خرج بسرعة البرق من باب المعدني، شامخا وكأنه سدا منيعا يحجب النظر فقال محمد علي على الفور:-

- انا محمد علي ومعني ضيف هو السيد ادريس محمد صالح، قدم الينا صباح هذا

اليوم، وهو يريد التوجه الى منطقة سمهر لزيارة اهله.

تدخل الشيخ منصور ليقول:-

- محمد علي كيف حالك يا بني، انها لفترة طويلة ولم تسجل لنا زيارة، هل الوالد

واعمامك بخير؟

واضاف بصوت جهوري قائلاً:-

- تفضلوا اهلا بك وبضيفك الكريم.

⁽¹⁾ المعدني هو بيت مصنوع من القش واغصان وسعف اشجار الدوم، والمنجروف البحري المنتشر على طول سواحل البحر الاحمر في إرتريا.

وعلى الفور نادى على احد تلامذته وقال له:-

- اسرع لقد اتى الينا ضيوف اعزاء، وقم بتحضير الماء، وادوات عدة القهوة، وما

تيسر من طعام العشاء...

اعترضه محمد علي بأدب جم قائلاً:-

- لقد قمت بما هو المطلوب، وها انا اترك لكم ادريس واسرته لقضاء الليل معكم.

اما انا فانني اطلب منكم السماح لي بالعودة لانني على عجلة من امري، وعلي

الوصول الى منطقتي قبل بزوغ الفجر.

تدخل الشيخ منصور قائلاً:-

- تذهب الى اين يا بني، فالليل قد سدل ستاره، والمنطقة عموم المنطقة تعج الآن

بالذئاب الجائعة التي تكثر عن انيابها عند سماعها لصوت اي انسان او حيوان

شارد او وارد حتى تقوم بالتهامه.

واضاف قائلاً:-

- الا تسمع اصواتها المزمجرة، التي ترعب قلوب من تعتبرهم اعداءها حتى وان

كانوا من البشر؟

انتظر محمد علي قليلا ريثما ينهى الشيخ كلامه، ويعد ان تأكد قال:-

- لا عليك يا شيخنا، فداري وبهائي لوحدهما، ويعلم الله بانني تركتهما على حالهما

دون ان اكلف احدا برعايتهما. فارجوا السماح لي بالذهاب، واعدك بانني سوف

اقوم بزيارتك مصحبا ابي الذي يتمنى ان يبوس على يديك، ويتحصل على

بركاتك.

وعلى الفور ودون سابق انذار تناول محمد علي يد الشيخ ونزل بها تقبيلا.

تأثر ادريس بما كان يجري امامه، وما سمعه من حوار حميمي بين الشيخ منصور ابن

الشيخ عبدالله وبين محمد علي، فقال بدوره:-

- نحن شاكرين ومقدرين الحفاوة التي استقبلتنا بها. اما بالنسبة لما يتعلق بالاخ

محمد علي فالحقيقة فقد كنت مصرا على ان يلتفت محمد علي الى بيته وارزاقه

بدلا من مرافقتنا الى قريبتكم المباركة هذه. إلا انه اصر تاركا كل شئ خلفه كما

قال لك قبل قليل، جزاه الله منا خيرا.

وافق الشيخ منصور على كلام ادريس واثنى على مبادرة محمد علي التي وصفها بالمبادرة المباركة. وما ان حصل محمد علي على موافقة ومباركة شيخه، قام بتقبيل يديه وكتفيه، كما ودع ادريس وتمنى له ولاسرته السلامة في حلهم وترحالهم، وركب جملة وانطلق الى القرية التي اتى منها.

لم يقصر تلامذة الشيخ منصور في واجباتهم، وما ان صدرت لهم اوامر الشيخ، حتى قاموا بصورة سريعة ملفتة للنظر، بجلب الماء من البئر المجاورة، وذبحوا الشاة التي كانت مخصصة لضيافة ادريس، واشعلوا حطب ألمادا⁽¹⁾ وسخنوا حجارتها، ليرموا فيها قطع لحم الشاة المقطعة حتى يتم نضجها، وجهزوا خبز الحبزة⁽²⁾ الذي تفوح منه رائحة الذرة المطحونة والمبتلة، وقاموا بإدخاله في التندور، واتو بثلاث صحن مليئة بحليب الماعز، وقدموهما لادريس واسرته كطعام لعشائهم.

وريثما يتم تناول طعام العشاء، قام تلامذة الشيخ بتجهيز احدى بيوت المعدني المخصصة للضيوف وقاموا بفرشها ووضع بعض البطاطين عليها، ووضعوا إبريقا من الماء للإستفاداة منه لقضاء الحاجة اثناء الليل والصبح الباكر، وطلبوا من ادريس واسرته اخذ راحتهم. كل ذلك كان يتم بإرشادات وتوجيه الشيخ الذي كان يتسابق مع تلامذته في خدمة ادريس واسرته.

ما ان سمع ادريس نباح كلاب القرية ونعيق غريانها، ايقن بان الفجر على الابواب، فاسرع وايقظ السيدة زوجته، وابناؤه منصور وزينب ليؤديا صلاة الفجر ويستعدا للسفر مجددا بعض تناول طعام افطارهم. وما ان انهى كل منهما ماكان يجب القيام به، عرج إليهما الشيخ منصور وهو يتحنح في إشارة لهم بانه قادم اليهم وعلى الفور قال:-

- صباح الخير ياادريس، أمل انك والاسرة قد حصلتما على قسط من الراحة.

رد عليه ادريس قائلا:-

- الحمد لله ياشيخنا، وماذا عنك؟

رد الشيخ منصور ليقول:-

- الحمد لله اصبح الصبح ونحن بخير وعافية...

(1) ألمادا هي تسمية للطريقة التي يتم فيها شواء اللحم خاصة لحم الماعز على الجمر.

(2) الحبزة هو الخبز البلدي المشوي في الفرن او التندور المحلي، وعادة ما يستخدم ذلك في مناطق منخفضة إرتريا

وقبل ان يكمل حديثه قدم اليهم بعض تلامذة الشيخ وهم يحملون طعام افطارهم الذي إحتوى كالعادة على عصيدة الفيتريت المليئة من قعرها وحتى رأسها بكمية من السمن البلدي الصافي واللبن الرايب، وطلب منهما تناول طعامهما.

لم يكن الشيخ منصور في العادة يتناول طعام الإفطار، اذ كان يكتفي باخذ ثلاث حبات من التمر وكوبا من حليب إحدى ناقاته المشهورة بكنية أم رهوا، التي اهداها اليه احد تلامذته الميسورين. وبعد ان ادرك بان ضيوفه قد فرغوا من تناول طعامهم، إلتفت نحو ادريس ليخاطبه قائلاً:-

- في العاشرة او الحادية عشر، ربما اذا حالفنا الحظ، سوف يأتي إلينا الخواجة فرانكو الذي يملك احدى الشاحنات المتوسطة التي تنقل عمال ابناء المنطقة المزارعين من موقع مزرعة قطن منطقة مرسى قلوب التي يمتلكها احد الاثرياء الايطاليين، الى قراهم المتناثرة في عموم المنطقة، والتي تضم قرى الشيخ عيدروس الملقب بفتاح النفوس في مرسى قلوب، وعد منصور، وعد صالح، وعد قدف وغيرهم...

إنبهر ادريس اذ لم يكن يتوقع بان هناك وسيلة مواصلات يستخدمها الاهالي من مناطقهم وقراهم المتناثرة ومرسى قلوب التي تقع بها مزارع القطن، فقال:-

- لم اكن اتوقع ان يكون سفري، إنشاء الله، سهلا عبر إحدى شاحنات هذه المنطقة.

لم يشأ الشيخ منصور ابن الشيخ عبد الله التعجل على تأكيد قدوم او عدم قدوم سيارة شحن السنيور فرانكو، فهو يعرف تماما بان الشاحنة، وفي كثير من الاحيان لا تأتي حسب المقرر، ربما لعطل يصيبها على قارعة الطريق، او نفاذ الوقود منها، او في حالة استغناء صاحب مزارع مرسى قلوب الإستغناء مؤقتا من عماله الزراعيين، وانعدام الرغبة لاعادتهم الى مكان عملهم، وغيرها وغيرها من الاسباب والمسببات، ولذلك قال متفائلاً:-

- أمل ان تاتي شاحنة الخواجة فرانكو حسب موعدها. والى حين ذلك عليك تجهيز

نفسك وباقي افراد الاسرة، اذ وما ان تصل الشاحنة حتى يتدافع عليها عمال

الزراعة الراغبين للالتحاق بمزارع القطن في مرسى قلوب. ومن جاني سوف

اوصي بكم فرانكو ليولصلكم الى ابن عمي الشيخ عمر ، وهو بدوره يقوم بما يتطلبه الواجب.

تدخل ادريس شاكر ومقدرا اهتمام ورعاية الشيخ به وباسرته.

وحسب الموعد المتوقع وصلت شاحنة السنيور فرانكو قادمة من مرسى قلوب، وإستقلها ادريس وافراد اسرته، وبقيّة عمال مزارع القطن على الفور، وهم يدعون البعض منهم سرا والبعض جهرا، ليحفظهم الله من عوائق الطريق. وبعد مسافة حوالي ستة ساعات، اي في تمام السادسة والنصف مساء وصل الجمع سالما، وتوجه ادريس بعد ان استقبله احد تلامذة الشيخ عمر الى المكان المقرر لراحته.

في اليوم الثاني ولحسن حظ ادريس واسرته، فقد كان لزاما على السنيور فرانكو التوجه الى مدينة مصوع لصيانة شاحنته، وشراء بعض قطع الغيار لها. وما ان حدثه الشيخ عمر بإصطحاب ادريس معه الى مصوع حتى لبي له طلبه. وبالفعل فقد كان للشيخ كلمة مسموعة ليس على نطاق ابناء المنطقة بل ايضا على السنيور فرانكو والعديد من الايطاليين الذين يعرفونه حق المعرفة، ولذلك لم يخب ظن ادريس وتأكد له بانه سوف يصل الى داره في قرية الشيخ حليب سريعا وبصورة لم تكن في حسبانه، وذلك بفضل توصية الشيخ عمر ومن قبلها توصية الشيخ منصور.

وفي الموعد المحدد اي بعد تناول طعام الإفطار والغداء معا ودفعة واحدة، توجه ادريس واسرته، مستغلا شاحنة السنيور فرانكو للمرة الثانية، الى مدينة مصوع مارا بالعديد من قرى عد منصور، عد نصر الدين، قادم حليب، شعب ودوقلي، ليصل قريته في الرابعة مساء حسب ماكان مقررا، وليجد نفسه يطرق باب دار اهله في قرية الشيخ حليب، ويكون اخيه احمد هو الذي يفتح له الباب.

والى لقاء آخر في الجزء الثالث